

الدراسة الأولى:  
القلق الناشئ: الجرب الهجينة  
البحرية

سارة أمين يونس<sup>(١)</sup>

"أشارت تحليلات البيئات الجيوسياسية والجيواستراتيجية إلى إعادة صياغة كل من فلسفة وفن الحرب، والتطورات الناتجة عن نشر التقنيات الجديدة في الصراع وبالتالي استراتيجيات مختلفة. هذه الأساليب الجديدة، عندما تقترن بالمفاهيم التقليدية للصراع والأمن، غالبًا ما يتم صياغتها على أنها حرب "هجينة". ويعتمد مفهوم الحرب الهجينة في المقام الأول على القدرة على تحقيق الأهداف من خلال اعتماد وسائل عسكرية غير تقليدية<sup>(٢)</sup>. "وهي كنهج غير متماثل، تحاول الحرب الهجينة تحقيق نتائج واسعة النطاق باستخدام وسائل متواضعة، مثل منع العمليات العسكرية للخصم أو منع الدعم السياسي الشعبي<sup>(٣)</sup>".

ومنذ أن صاغ فرانك هوفمان (Frank Hoffman) مصطلح "الحرب الهجينة" في عام ٢٠٠٧، كُتبت العديد من المقالات والكتب حول هذا الموضوع من منظور الدراسات العسكرية والعلاقات الدولية. ركزت هذه الأفكار على العمليات البرية، لكننا بدأنا نراها تنتشر في المجال البحري.

قام القائد الأعلى السابق لحلف الناتو الأدميرال جيمس ستافريديس (James Stavridis) بتعريف حرب المنطقة الرمادية في السياق البحري على أنها "حرب بحرية مختلطة" حيث يمكن للبحارة الذين لا يرتدون الزي العسكري تشغيل سفن حربية متحركة في شكل سفن تجارية والقيام بأعمال حربية دون إسنادها. أحد الأمثلة على مثل هذا النشاط من عصر القتال كان القراصنة، سفينة مدنية مع طاقم مدني مخول القيام بأعمال حربية من قبل دولة ربما لا تكون مهتمة بالارتباط المباشر بهذه المهمات. وكمثال آخر استشهد به ستافريديس هو "Q-ship" في الحرب العالمية الأولى، وهي سفينة تجارية مسلحة بأسلحة بحرية ويديرها طاقم بحري مهمتها جذب الغواصات الراغبة في تحقيق نصر سهل في نطاق بنادقها. كل من هذين المثالين قد أفاد تفكير روزفلت عندما كان يبحث عن طرق لمواجهة القوة البحرية المتنامية لألمانيا النازية في أواخر

<sup>(١)</sup> طالبة في المعهد العالي للدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية والإدارية والاقتصادي، أعدت الدراسة بإشراف العميد الدكتور كميل حبيب.

<sup>(٢)</sup> Frank G Hoffman, "Hybrid Warfare and Challenges", Joint Forces Quarterly 52, 2009, p 34-39.

<sup>(٣)</sup> Keir Giles, The Next Phase Of The Russian Information Warfare, (Riga: Nato Strategic Communication Center of Excellence 2016), <http://www.stratcomcoe.org/next-phase-of-he-russian-information-warfare-keir-giles>.

الثلاثينيات<sup>(١)</sup>. ولعلّ أبرز ما في الأمر هو أن الأنشطة الصينية في بحر الصين الجنوبي والأعمال الإيرانية في الخليج العربي بدأت في إظهار خصائص الحرب البحرية الهجينة.

علماً أنه في عام ٢٠١٨ لامس حجم التجارة في النقل البحري ١١ مليار طن، مع عائد إجمالي ٩٠٪ من التجارة في العالم<sup>(٢)</sup>، لذلك، تعتبر الحرب البحرية الهجينة، والحوارز أمام الملاحة في مختلف المسطحات المائية مهمّة، وتحتوي على مخاطر على استقرار التجارة العالمية، والتجارة البحرية، وعبور الأبرياء وحركة المرور العابر وأمن الاقتصاد البحري وعبور الركاب<sup>(٣)</sup>.

كما تُعتبر روسيا، الصين وإيران أهمّ ثلاث دول تتبنّى تقنيات الصراع الهجين. وهم لاعبون مهمّون في قانون البحار لأن مناطقهم قريبة أو يسيطرون على ممرات بحرية استراتيجية<sup>(٤)</sup>. تُظهر الأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق البحرية مدى أهمية دعم سيادة القانون وحماية حقوق المرور فيها. ومع ذلك، فإن هذه المناطق البحرية هي أيضاً مناطق يتعرّض فيها استقرار الملاحة حالياً للضغط بسبب الاعتبارات الأمنية المتغيّرة للدول الساحلية وأساليب الصراع الهجين.

على سبيل المثال تعرّضت السفن الأجنبية المبحرة عبر نقاط الاختناق الرئيسية للتجارة البحرية مؤخراً بشكلٍ متكرّر لاستخدام القوة أو الإكراه من قبل بعض الدول الساحلية. تشمل الأمثلة البارزة حادث مضيق كيرتش (kertch) في ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١٨ وحوادث مضيق هرمز في صيف ٢٠١٩.

تتمثّل إحدى المسائل الرئيسية المطروحة في البحث الحالي بعدم وجود فهم واضح لكيفية تطبيق قانون البحار في الحرب الهجينة، علماً أن الآثار الناجمة عن الحرب الهجينة في المجال البحري تستحقّ النّظر بما أنه لا يكفي تحليل التّهديدات، ولكن المهمّ توفير أدوات ملموسة لمواجهتها.

والمسألة الأساسية تتمحور حول الغموض وكيفية اختلاف الحرب أو الصراع البحري الهجين عن المفاهيم التقليدية للحرب البحرية "والغموض هنا ليس بالضرورة إخفاء الفاعل الحقيقي وراء النشاط، ولكن في النهاية لإعاقة الاستجابة المشروعة<sup>(٥)</sup>"، والإشكالية الأساسية تكمن في عدم وجود فهم واضح لكيف يساعد قانون البحار في ضمان سيادة القانون على طرق الشحن الرئيسية المتأثرة بالحرب الهجينة؟

سنحاول الإجابة على هذه المسألة من خلال قسمين حيث سنتناول في القسم الأول أمثلة عن الأنشطة الهجينة في بحر الصين الجنوبي، والأنشطة الإيرانية في الخليج العربي، وسنتكلّم في القسم الثاني على ماهية الحرب البحرية الهجينة، خصائصها وكيفية مواجهتها.

(1) Steven Wills, "FRANKLIN D. ROOSEVELT, 'GRAY ZONE' WARRIOR", in War On the Roks, November 23, 2017.

(2) Conférence des Nations Unies sur le commerce et le développement, Manuel électronique des statistiques 2019, Nations Unies 2019.

(3) Conseil de l'Union européenne, "Stratégie de sécurité maritime de l'Union européenne", Bruxelles 2014, p. 6-7.

(4) J. Stavridis, "La guerre hybride maritime arrive", 142 Actes du US Naval Institute 2016 (12).

(5) Andrew Mumford, "Ambiguity in hybrid warfare", Hybrid CoE Strategic Analysis / 24 SEPTEMBER 2020, p 3.

## ○ القسم الأول: نماذج عن الحرب الهجينة البحرية

### ١- الأنشطة الهجينة في بحر الصين الجنوبي

كتب الأدميرال جيمس ستافريديس (James Stavridis) وهو متقاعد من البحرية الأميركية الحادثة التالية: "في أمسية صيفية في بحر الصين الجنوبي الحار، تقترب باخرة ساحلية تزن ما يقرب من ٢٠٠٠ طن من أسطول صيد فيتنامي في المنطقة الاقتصادية الخالصة لفيتنام، على بعد حوالي ١٥٠ ميلاً من ساحل تلك الدولة. تتسكع الباخرة في المنطقة لمدة ساعة أو ساعتين مع حلول الليل. فجأة من جانب السفينة، تم نشر ثلاث زوارق سريعة، كل منها مسلح بمدافع عيار ٠.٥٠ وقاذفات صواريخ محمولة باليد. في الساعة التالية، هاجمت الزوارق السريعة العشرات من قوارب الصيد، ورشّتها بنيران من عيار ٠.٥٠، وضربت بالقبائل اليدوية، وأطلقت النار على الناجين في المياه، حيث هربت قوارب الصيد الباقية باتجاه الساحل، وأطلقت نداءات استغاثة بشكل محموم، والتي تم تشويشها بواسطة طائرات صغيرة بدون طيار تعمل في سماء المنطقة.

بحلول الوقت الذي وصل فيه خفر السواحل الفيتنامي إلى مكان الحادث في صباح اليوم التالي، نهبه أحد القوارب التي تمكنت أخيراً من الوصول إلى الميناء، لم يكن هناك سوى دماء في الماء، ممزوجة بالزيت والبنزين، والعديد من الهياكل المشتعلة. تضرب إحدى سفن خفر السواحل منجماً خاماً صغيراً وتسبب أضراراً في بدنها، وفي إحدى سفن الصيد التي لا تزال عائمة، تنفجر عبوة ناسفة عندما يصعد البحارة الفيتناميون إليها بحثاً عن أدلة على أصل الحادث، تغمر الشبكات الاجتماعية الفيتنامية بتحذيرات الصيادين من أن مياه مناطق صيدهم التقليدية مليئة بالإرهابيين، كما أدت سلسلة من الهجمات الإلكترونية إلى شلّ نظام المراقبة بالرادار البحري الفيتنامي.

أصرت الصين على أن قواتها المسلحة ليست متورطة وإنها تشتهب في أن أفراد العصابات يديرون عصابات حماية أو قرصنة أو إرهابيين فيتناميين محلّيين. باستخدام كل من الشبكات الاجتماعية والقنوات الرسمية، يعرض الصينيون على الفور توفير الحماية ضد المزيد من الهجمات، مشيرين إلى أنّ فيتنام تبدو غير قادرة على السيطرة على المياه المزعومة وتؤكد الحاجة إلى القيام بذلك بنفسها لحماية السفن الصينية العاملة في مكان قريب. تحدث حملات شبكات اجتماعية مماثلة في جميع أنحاء الدول حول الحافة الغربية لبحر الصين الجنوبي، فتستغلّ الصين هذه الفرصة لإعادة تأكيد مزاعمها بالسيادة على بحر الصين الجنوبي بأكمله.

خلال الأشهر القليلة التالية، وقعت هجمات مماثلة على مجموعة متنوعة من السفن البحرية ومنصات النفط ومحطات الغاز الطبيعي. على الرغم من الاحتجاجات من مجموعة متنوعة من الدول حول ساحل بحر الصين الجنوبي، والتهديد بالتحقيق من قبل المنظمة البحرية الدولية التابعة للأمم المتحدة، والكلمات

الصارمة من الولايات المتحدة، فإن الشعور بالفوضى وعدم الاستقرار يتطور عبر قنوات الشحن الأكثر ازدحاماً في العالم.

لقد كتب الكثيرون عن ظهور "الحرب المختلطة" في مجموعة متنوعة من السيناريوهات العالمية، ولا سيما في الغزو الروسي لأوكرانيا وضمّ شبه جزيرة القرم. حتى الآن، اقتصر هذا إلى حدّ كبير على الحرب البرية، من حيث الممارسة الفعلية والمناقشة النظرية. هذا على وشك أن يتغيّر، ومن الممكن أن نرى ظهور حرب بحرية مختلطة على مدى العقود المقبلة، وربما في وقت أقرب<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الأنشطة الهجينة الإيرانية في الخليج العربي:

في ٨ أيار من العام ٢٠١٨، انسحبت الولايات المتحدة الأمريكية من الاتفاق النووي وأعدت فرض العقوبات على إيران<sup>(٢)</sup> والتي أدت إلى انكماش حادّ في الاقتصاد الإيراني، ودفعت قيمة عملتها إلى مستويات متدنية قياسية، وضاعفت معدّل التضخم السنوي أربع مرات، وأبعدت المستثمرين الأجانب، وأثارت احتجاجات في البلاد<sup>(٣)</sup>. بناءً عليه، اتّهم المسؤولون الإيرانيون الولايات المتحدة بشنّ حربٍ هجينةٍ على البلاد<sup>(٤)</sup>.

تعدّ أزمة الخليج العربي في العامين ٢٠١٩ و ٢٠٢٠ تصعيداً لافتاً لمستوى التوترات العسكرية بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي. حيث بدأت الولايات المتحدة بتعزيز وجودها العسكري في المنطقة لردع حملة مزعومة من الطرف الإيراني المتعاون مع الجهات الفاعلة غير الحكومية لمهاجمة القوات والمصالح الأمريكية في الخليج العربي والعراق. ظهرت بوادر الأزمة بعد تصاعد التوترات السياسية بين البلدين خلال إدارة الرئيس دونالد ترامب الذي منذ دخوله إلى البيت الأبيض، وبالرغم من عدم استخدام الخيار العسكري المباشر، بدأ ترامب حرباً حقيقية ضد الإيرانيين مُستخدماً سياسة العقوبات الاقتصادية والضغوط القسوى، والهدف بحسب قوله، إعادة التفاوض على ملف إيران النووي، وأخذ تنازلات من إيران في ملفها الصاروخي، ونفوذها في الشرق الأوسط<sup>(٥)</sup>، غير أنها صنّفت

(1) James Stavridis, Maritime Hybrid Warfare Is Coming, December 2016, Proceedings, Vol. 142/12/1,366. (Accessible 14 May 2021)

<https://www.usni.org/magazines/proceedings/2016/december/maritime-hybrid-warfare-coming>

(2) Mark Landler, Trump Abandons Iran Nuclear Deal He Long Scorned, in The New York Times, 8 May 2018, (accessible at 23 May 2021)

<https://www.nytimes.com/2018/05/08/world/middleeast/trump-iran-nuclear-deal.html>

(3) Iran oil: US to end sanctions exemptions for major importers, in BBC News, 22 April 2019, (accessible at 23 May 2021) <https://www.bbc.com/news/world-middle-east-48011496>

(4) Hanif Ghaffari, The necessity of "effective reaction" against U.S. hybrid war, in Tehran Times, 22 June 2019, (accessible at 23 May 2021)

<https://web.archive.org/web/20201003023556/https://www.tehrantimes.com/news/437255/The-necessity-of-effective-reaction-against-U-S-hybrid-war>

(٥) ليلي نقولا، بين ترامب وإيران: الحرب التي لا يخوضها العسكر، الميادين، ١٤ كانون الثاني ٢٠٢٠.

صنفت الحرس الثوري الإيراني بالمنظمة إرهابية، فردت إيران بالمقابل ووصفت القيادة المركزية للولايات المتحدة كمنظمة إرهابية.

إذاً، هي حربٌ حاول الرئيس ترامب فيها استخدام وخطُ المدني بالعسكري، والاقتصادي والعسكري والسياسي والثقافي، بالإضافة إلى التكنولوجيا وحروب المعلومات والاستخبارات، واستخدام الآلة للتدمير والاعتقالات.

تصاعدت الأزمة في أواخر عام ٢٠١٩ ومطلع عام ٢٠٢٠ عندما أقدم عناصر من كتائب حزب الله التابعة لقوات الحشد الشعبي العراقية، على قتل مقاول أمريكي في هجومٍ على قاعدة عراقية كانت تستضيف عسكريين أمريكيين. ردّاً على ذلك، شنّت الولايات المتحدة غارات جوية على منشآت كتائب حزب الله في العراق وسوريا، ما أسفر عن مقتل ٢٥ رجلاً. عادت كتائب حزب الله لتردّ بهجوم على السفارة الأمريكية في بغداد، ما دفع الولايات المتحدة إلى نشر مئات من عناصرها في الشرق الأوسط وإعلان نيّتها توجيه ضرباتٍ استباقية ضدّ "وكلاء" إيران في العراق. بعد أيام، اغتالت الولايات المتحدة الأميركية قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني قاسم سليمانى وقائد الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس في غارة أمريكية بطائرة مسيرة، فتعهد المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي بعد الاغتيال بالانتقام من القوات الأمريكية. قامت الولايات المتحدة بنشر حوالي ٤٠٠٠ جندي، وعززت إسرائيل من إجراءاتها الأمنية<sup>(١)</sup>. على أثر ما حدث أنهت إيران التزاماتها بالاتفاق النووي في ٥ كانون الثاني ٢٠٢٠<sup>(٢)</sup>. أوشكت الولايات المتحدة وإيران أن تدخلتا في صراعٍ مفتوح في ٨ كانون الثاني ٢٠٢٠ عندما شنّ الحرس الثوري الإيراني هجماتٍ صاروخيةً على قاعدتين عسكريتين أمريكيتين في العراق انتقاماً لاغتيال الجنرال قاسم سليمانى، ما اعتبر مواجهةً مباشرة ندر حدوثها بين إيران والولايات المتحدة منذ عقود، ربما كانت ستدخل البلدين في مواجهةٍ عسكرية مباشرة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنه تضررت سفن تجارية عديدة في الخليج العربي في حادثتين وقعتا في أيار وحزيران من العام ٢٠١٩، ما أدى إلى إلقاء اللوم على الإيرانيين الذين نفوا تورّطهم بالحادثتين. كما أسقطت إيران في حزيران ٢٠١٩ طائرة استطلاع أمريكية دون طيار من طراز آر كيو-٤ إيه (RQ-4A) كانت تحلق فوق مضيق هرمز، مما زاد الوضع توتراً وكاد أن يؤدي إلى اشتعال مواجهة مسلحة. وفي تموز ٢٠١٩، احتجزت بريطانيا ناقلة نفط إيرانية في مضيق جبل طارق بحجة شحنها النفط إلى سوريا ما اعتبرته

(1) Richard Sisk, Thousands More US Troops Deploying to Middle East in Response to Iranian Threats, in Military.Com, 3 January 2020, (accessible at 23 May 2021) <https://www.military.com/daily-news/2020/01/03/thousands-more-us-troops-deploying-middle-east-response-iranian-threats.html>

(2) Alastair Jamieson, Iran abandons nuclear deal over Soleimani killing, in euronews, 6 January 2020, accessible at (23 May 2021) <https://www.euronews.com/2020/01/05/crowds-greet-soleimani-s-body-as-trump-threatens-to-attack-52-iranian-sites>

انتهاكًا لعقوبات الاتحاد الأوروبي، فاستولت إيران لاحقًا على ناقلة نفط بريطانية وطاقتها في الخليج العربي<sup>(١)</sup>. ويُذكر أن إيران والمملكة المتحدة قد أطلقتا سراح السفن لاحقًا<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا السياق، أنشأت الولايات المتحدة في الفترة نفسها التحالف الدولي لأمن وحماية حرية الملاحة البحرية (أي إم إس سي) IMSC بهدف تعزيز "المراقبة الشاملة والأمن في الممرات المائية الرئيسية في الشرق الأوسط"، وفقًا لتصريحات وزارة الدفاع الأميركية<sup>(٣)</sup>.

كما أوشكت الولايات المتحدة وإيران أن تدخلتا في صراعٍ مفتوح في ٨ كانون الثاني ٢٠٢٠ عندما شنَّ الحرس الثوري الإيراني هجماتٍ صاروخيةٍ على قاعدتين عسكريتين أمريكيتين في العراق انتقامًا لاغتيال الجنرال قاسم سليماني، ما اعتبر مواجهةً مباشرةً ندر حدوثها بين إيران والولايات المتحدة منذ عقود، ربما كانت ستدخل البلدين في مواجهةٍ عسكريةٍ مباشرة.

وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود، شكَّلت مسألة من يسيطر على الخليج الفارسي منطلق الحشد العسكري الأميركي الضخم في المنطقة. والحال أن جوهر المعضلة الأمنية في المنطقة يكمن في تضارب الرؤى: إذ تسعى إيران إلى خروج القوات الأميركية، كي تتمكن من ممارسة ما تعتبره سلطتها المُحقَّقة على المنطقة، في حين تريد دول الخليج العربية من الولايات المتحدة موازنة القوة الإيرانية.

## ○ القسم الثاني: ماهية البحرية الهجينة وكيفية مواجهتها

### ١- ما هي الحرب البحرية الهجينة:

نظرًا إلى حاجتها للظهور بشكلٍ غامضٍ إلى حدٍّ ما، فإن الحرب البحرية الهجينة ستُجرى عمومًا في المياه الساحلية بدلًا من استخدام القوة مباشرةً من المنصات البحرية "الرمادية" التي يمكن تحديدها، ستميّز الحرب الهجينة باستخدام كلٍّ من السفن المدنية كالبواخر المتسرِّدة (tramp steamers) وسفن الصيد الكبيرة، والناقلات الساحلية الخفيفة، والمراكب الصغيرة السريعة وحتى المراكب "المنخفضة البطيئة" (Low Speed Skiffs) ذات المحركات الخارجية. ومن المحتمل أن يتمَّ التَّحكم فيها من خلال ما يسمَّى بـ"الأجسام البيضاء"<sup>(٤)</sup> المخصَّصة لخفر السواحل في دول معينة<sup>(١)</sup>.

(1) Iran claims it has seized third oil tanker in Gulf as tensions with US rise, in The Guardian, 4 August 2019, (accessible at 23 May 2021)

<https://www.theguardian.com/world/2019/aug/04/iran-seizes-oil-tanker-in-gulf-smuggling-fuel-to-arab-states>

(2) British Tanker Seized in July Leaves Iranian Port , in Reuters, 27 September 2019, (accessible at 23 May 23, 2021), <https://www.voanews.com/middle-east/british-tanker-seized-july-leaves-iranian-port>

(3) Putin's Gulf security plan depends on Trump, in Al Monitor, 16 August 2019,(accessible at 23 May 2021) <https://www.al-monitor.com/originals/2019/08/putin-gulf-security-plan-trump-iran-uae-saudi-arabia.html>

(4) يقصد "بالأجسام البيضاء" قوات من نوع الحرس البلدي، والتي يطلق عليها عادة "الهيكل البيضاء"، تتواجد بشكلٍ مستقرٍّ ومستمرٍّ مقارنةً بالقوات البحرية النظامية (أو "الهيكل الرمادية")، كما كتب مُنظِّر القوة البحرية هارولد كيرسلي (Harold Kearsley) في Maritime

يتم تشغيل السفن المستخدمة في الحرب البحرية الهجينة من قبل مجموعة يمكن تسميتها "البحارة الزرق الصغار"، وهم أفراد لا يرتدون الزي العسكري بهدف إعطاء مظهر تصرّف غير حكومي، حيث يمكن تصنيفهم على أنهم قوميين، أو فاعلين مارقين، أو إرهابيين، أو حتى بحارة يتصرّفون بملء إرادتهم. تم تسخير هذه التقنية بشكل جيد للغاية من قبل روسيا خلال غزوات أوكرانيا وضم شبه جزيرة القرم لاحقاً مما سمح للكرملين بقضاء أسابيع ناكراً وجود أي "قوات" روسية على الأراضي الأوكرانية. كما أن هؤلاء البحارة الزرق الصغار لن يحملوا أي علامات على ملابسهم، ولن يحملوا جوازات سفر، وفي حالة أسرهم، سينكرون أنهم جزءاً من أي جيش منظم.

في المقابل على متن منصّات الحرب الهجينة البحرية، من المحتمل أن تتوفر مجموعة متنوعة من الأسلحة بدءاً من الأسلحة الخفيفة وصولاً إلى العيار الثقيل من الصواريخ المحمولة أرض - أرض، وصواريخ سطح - جو الخفيفة. مما سيمنّ البحارة أيضاً من الوصول إلى مبهرات الليزر (Laser dazzlers) عالية الكثافة<sup>(٢)</sup>، وبواعث الصوت (sound emitters)، وموزّعات الغاز المسيل للدموع، وخرطوم المياه، وغيرها من الأسلحة غير الفتاكة. ستكون قيادتهم وسيطرتهم مضغوطة ومدنية وتتألف إلى حدّ كبير من أنظمة جاهزة للاستخدام، لكن سيكون لها القدرة على نشر أجهزة استشعار غير مأهولة (خفيفة، وذكية، ورخيصة، ويمكن التخلّص منها). بمرور الوقت، سيكون لديهم القدرة على نشر أجهزة الاستشعار تحت الماء والسطحية بدون طيار ووضع عقد استشعار دائمة في قاع البحر. وسيتم الحفاظ على كل هذه التكنولوجيا على الشاطئ من قبل القوات الخاصة المخصصة في وحدات لخفر السواحل للدولة والقوات البحرية غير النظامية.

على المستوى الأكثر تعقيداً، من الممكن تصور قيام دولة ببناء قوة صغيرة من "سفن Q" (Q ships)، المصمّمة خصيصاً لتبدو وكأنها سفن بخارية ساحلية أو سفن تجارية أخرى صغيرة إلى متوسطة الحجم ولكنها تخفي موانئ مدمجة في جوانبها للأسلحة، يمكنها إطلاق زوارق سريعة من الخلجان الداخلية، ويمكن أن تعمل كسفن أم لسفن أصغر وأقل تطوراً تقوم بحرب بحرية هجينة. يمكن لمثل هذه السفن أيضاً تفريغ خلسة من الألغام المصنوعة بطريقة بدائية ولا يمكن تعقبها لتقريب الأجهزة المنفجرة المرتجلة البحرية. يمكن أن تكون الهجمات على منشآت النفط والغاز البحرية من العناصر التي تثير القلق بشكل خاص في الحرب البحرية الهجينة. القدرة على إلحاق أضرار جسيمة أو حتى تدمير منشآت هيدروكربونية ضخمة في الخليج العربي، على سبيل المثال، دون الإسناد يمكن أن تكون ميزة هائلة لإيران. وبالمثل، يمكن أن تهاجم كوريا

---

Power and the Twenty-First Century in 1992. لا تعطي "الأجسام البيضاء" الانطباع العسكري نفسه الصريح والقتال الحربي مثل القوات البحرية النظامية المستخدمة لهذا الغرض.

(١) يستخدم كل من الصينيين والإيرانيين خفر السواحل (والحرس الثوري في حالة إيران) بهذه الطريقة في بحر الصين الجنوبي والخليج العربي على التوالي.

(٢) هو سلاح غير فتاك يستخدم إشعاعاً موجهاً مكثفاً لتعطيل هدفه مؤقتاً بعمى الفلاش. يمكن أن تشمل الأهداف أجهزة استشعار أو رؤية بشرية.

الشمالية محطات الشحن أو خطوط الأنابيب في كوريا الجنوبية. الكابلات تحت الماء معرضة أيضاً للخطر، وفي نهاية المطاف منصات التعدين في قاع البحار العميقة. قد يكون لهذا تأثير مخيف على مزيد من الاستثمار في بلد أو منطقة بالنظر إلى المسؤولية عن الآثار البيئية.

## ٢- أدوات الحرب البحرية الهجينة ونطاق صراعها:

تشمل وسائل الحرب البحرية المختلطة استخدام الأسلحة النارية والمتفجرات، واعتقال السفن، والهجمات الإلكترونية، والتهديدات بالقوة، والإكراه الاقتصادي، والشبكات البحرية الرمادية، على سبيل المثال لا الحصر. ولكي يتم استخدام هذه الأدوات وغيرها لا بدّ من وجود منطقة "رمادية" ساحة للصراع الهجين، وفي ما يلي بعض الأمثلة الإقليمية للمناطق الرمادية في الصراع البحري الهجين.

يمكن فهم المنطقة الرمادية على أنها مساحة تفتقر إلى العمل العسكري الواضح الذي يخلق فيه المعتدي غموضاً كافياً لتحقيق أهدافه الاستراتيجية دون الانخراط في هجوم مفتوح. ففي حادثة مضيق كيرتش في تشرين الثاني ٢٠١٨ يمكن القول إن روسيا استخدمت انعدام الأمن من خلال العمل في منطقة رمادية لتعقيد عملية صنع القرار في الدول الأخرى. حيث استولت على ثلاث سفن تابعة للبحرية الأوكرانية، بما في ذلك سفينتان حربيتان، واعتقلت طاقمها أثناء دخولهم مضيق كيرتش. وفي سياق ضمّ شبه جزيرة القرم والنزاع المسلح في شرق أوكرانيا<sup>(١)</sup>، أثار هذا الحادث تساؤلاتٍ عديدة عما إذا كان ينبغي اعتبار تصرفات روسيا في مضيق كيرتش ضمن الإطار القانوني للقانون الدولي الإنساني، بمعنى آخر ليس من الواضح تماماً إلى أي مدى ينطبق قانون البحار في حرب أو نزاع مختلط وهي مسألة جوهرية. يرتبط هذا أيضاً ارتباطاً وثيقاً بمسألة ما إذا كان ينبغي تطبيق قانون الحرب البحرية أو الإطار القانوني لإنفاذ القانون في ما يسمّى بـ"المناطق الرمادية" لتقييم شرعية استخدام القوة من قبل الدولة الساحلية أو الإكراه المباشر على البحر<sup>(٢)</sup>.

وفي المقابل الآخر، فإن حقوق المرور للسفن والطائرات الأجنبية هي محور التوترات بين الصين والدول التي تستخدم طرق الشحن في بحر الصين الجنوبي. كما أن الطائرات في المناطق البحرية لبحر البلطيق وفوقها وبالقرب منها (مثل الجزء الشرقي من خليج فنلندا والمجاور لجيب كالينينغراد) ظلّت إلى حد كبير غير ملحوظة في البحوث القانونية. الأعمال الخطيرة المتكررة للطائرات المقاتلة الروسية ضدّ السفن الحربية الأمريكية التي دخلت بحر البلطيق، وتوغّلات الغواصات الروسية المزعومة في البحار الإقليمية للسويد

(1) J. Kraska, "L'incident du détroit de Kertch: droit de la mer ou droit de la guerre navale?", EJIL: Parlez!, 03.12.2018.

(2) L. J. Morris et coll, "Obtenir un avantage concurrentiel dans la zone grise: options de réponse en cas d'agression coercitive en dessous du seuil de guerre majeure", La RAND Corporation, Santa Monica 2019, p. 92.

وفنلندا، فضلاً عن الانتهاكات المتعددة للمجال الجوي الإستوني من قبل الطائرات الروسية ليست سوى بعض الأمثلة التي تستحق الذكر. زيادة الاهتمام في سياق الصراع الهجين في منطقة بحر البلطيق<sup>(١)</sup>. في مناسبات أخرى، كان للتوترات بين الدول الساحلية في خليج فنلندا تأثير سلبي مباشر على حقوق مرور السفن. على سبيل المثال، "في أعقاب أعمال الشغب التي اندلعت في عام ٢٠٠٧ في الأقلية الناطقة بالروسية في تالين بسبب نقل النصب التذكاري للجندي السوفيتي البرونزي، رفضت روسيا السماح لها بعبور بحرهما الإقليمي بموجب حق المرور الأبرياء. السفينة التجارية Vironia. كانت تنقل البضائع والركاب في الخليج الشرقي لفنلندا بين ميناء Sillamäe الإستوني وميناء Kotka الفنلندي حيث تسببت روسيا فعلياً في إغلاق خط العبارة"<sup>(٢)</sup>.

من الناحية العملية، تُدرك دول الشمال تهديدات الحرب الهجينة وتستعد بنشاط لمواجهة هذه التحديات في منطقة شمال البلطيق<sup>(٣)</sup> على سبيل المثال، كان أول تدريب تدريبي واسع النطاق لقوة الاستطلاعات المشتركة بقيادة المملكة المتحدة يهدف إلى مواجهة التهديدات الناشئة عن حرب هجينة افتراضية في إستونيا، بما في ذلك في مجالها البحري<sup>(٤)</sup>. وبالمثل، حذّر وزير الدفاع الفنلندي من إمكانية تحويل جزر أولاند المنزوعة السلاح إلى مسرح حرب من قبل ما يسمى بـ"الرجال الخضر الصغار" في حالة وجود دولة أجنبية مستعدة لخرق قواعد القانون الدولي<sup>(٥)</sup>.

### ٣- خصائص الحرب البحرية الهجينة:

في حين تختلف وجهات النظر، تشتمل المبادئ المتفق عليها على نطاق واسع للحرب الهجينة في المجال البحري ما يلي:

- خلق تأثير استراتيجي حقيقي على المستوى التكتيكي (يسمى أحياناً تأثير "العريف الاستراتيجي" "impact of the "strategic corporal").
- استخدام "جنود" بزي رسمي غير مميز يشار إليهم أحياناً بإسم "الرجال الخضر الصغار" ( little Green men)<sup>(٦)</sup>، مما يجعل أفعالهم غامضة بموجب القانون الدولي.

(1) A. Lott, "Le régime juridique de la partie septentrionale de la mer Baltique dans le contexte des récents développements de sécurité", Stratégique 2019 (1-2), pp. 255-272.

(2) Alexandre Lott, "Implications de la guerre hybride pour l'ordre des océans", in eurisle ,3 aout 2020.

(3) C. S. Chivvis, "Comprendre la «guerre hybride» russe et ce qui peut être fait à ce sujet", The RAND Corporation, Santa Monica 2017, p. 7.

(4) D. Cavegn, "Exercice de planification des opérations de débarquement au Royaume-Uni en Estonie à l'été 2019". ERR News, 09.12.2018.

(٥) وزير الدفاع الفنلندي نينيسستو: عند تجريد من السلاح بشكل آلاند فراغاً عسكرياً،

Niinistö, R. Uosokainen, "Puolustusministeri Niinistö: Demilitarisoituna Ahvenanmaa muodostaa sotilaallisen tyhjiön" Yle Uutiset, 17.10.2016.

(٦) وهي التسمية التي أطلقت أيضاً على الجنود الروس الذين شاركوا في العمليات الروسية على أوكرانيا.

- الاستخدام المتزايد لحرب المعلومات، والدعاية، وانتشار الشائعات الكاذبة والمثيرة للفتن لزراعة استقرار المنطقة.
- حضور مكثف على الشبكات الاجتماعية يوّد دعاية وأكاذيب.
- استخدام أساليب المتمردين بما في ذلك السيارات المفخخة والتعذيب والخطف لتخويف السكان وترويعهم.
- دمج القوات غير العسكرية بما في ذلك الشرطة في العمليات العسكرية.
- حملة سيبرانية معقّدة.

#### ٤- تدمير بيئي وتشكيل تهديدات أمنية في المجال البحري:

تشمل الأمثلة البارزة بناء جسر مضيق كيرتش في البحر الأسود، وخطوط أنابيب نورد ستريم تحت الأرض في بحر البلطيق، والجزر الاصطناعية في بحر الصين الجنوبي التي يقال إنها تضر بالبيئة البحرية والتي تتنازع عليها الساحل. الدول التي تأثرت بأنشطة البناء هذه.

قد تنظر الدول الساحلية إلى هذه المشاريع الصناعية في المياه المجاورة لها على أنها تهديد لأمنها القومي. على سبيل المثال، أثار وزير الدفاع الفنلندي مخاوف مشتركة على نطاق واسع مع دول البلطيق المجاورة من أن روسيا يمكن أن تستخدم قواتها المسلحة أثناء حالة النزاع للسيطرة على خطوط أنابيب نورد ستريم التي تعبر مناطق البحر الفنلندية والسويدية والدنماركية<sup>(1)</sup>. لدى أوكرانيا مخاوف مماثلة بشأن جسر مضيق كيرتش وجزء كبير من المجتمع الدولي فوق الجزر الاصطناعية في بحر الصين الجنوبي. كما خلقت هذه المشاريع تحديات جديدة لحقوق الملاحة في المناطق البحرية المعنية وبالتالي لاستقرار قانون البحار.

#### ٥- كيفية مواجهة الحرب البحرية الهجينة:

بدايةً، وككل أنواع الحروب الجيش بحاجة للتدريب على مواجهة هذه الأنواع من العمليات، ويمكن القيام بذلك كجزء من الدورة الأساسية لعمليات البحرية الاعتيادية فكل من الغواصات والطيران لهما دور يلعبانه أيضاً. كما يتطلّب غموض الحرب الهجينة التعليم والتدريب على قواعد الاشتباك، وتشغيل الأنظمة التقليدية ضد القوات غير التقليدية في البحر وتعلّم التصرف بشكل أشبه بشبكة في البحر.

اللافت أن الولايات المتحدة الأميركية قطعت شوطاً مهماً في التفكير في مكافحة الإرهاب بناءً على المفاهيم من Deep Blue وهي مجموعة عمليات تمّ إنشاؤها في عام ٢٠٠١ للتوصّل إلى أفكار مبتكرة حول

<sup>(1)</sup> J. Niinistö, "Itämeren geostrateginen merkitys kasvuss", Centrum Balticum, 02.03.2017.

كيفية معالجة الحرب على الإرهاب وحول الحاجة إلى محاربة شبكة مع شبكة حيث يمكن أن تتضمن التدريبات الدولية الكبيرة مثل Rim of the Pacific (RIMPAC) مثل هذه السيناريوهات. ولا بدّ من الاستفادة من خفر السواحل العاديين وإشراكهم في دور قيادي في مكافحة الحرب البحرية الهجينة بما أن العديد من أنظمتها ومنصاتها تحتوي بالفعل على تقنيات لمواجهة تقنيات الحرب البحرية الهجينة، وستكون روحها القتالية في هذه الساحة التكتيكية قويّة بحسب الأدميرال جيمس ستافريديس (James Stavridis) وعلى وجه الخصوص، يمكن أن يكون خفر السواحل همزة وصل لنهج التحالف البحري العالمي الذي يجمع خفر السواحل والقوات الساحلية معاً للتدريب إلى جانب عمليات مكافحة المخدرات والقرصنة ومكافحة الإرهاب في البحر. وبالنسبة له ما تبقى هو التفكير في كيفية الاستفادة منها ضدّ خصم أكثر تطوراً على المستوى الوطني.

عادةً ما يستخدم المعتدي المناطق الرمادية لجعل اتخاذ قرارات بشأن شرعية أفعاله في حالات النزاع أمراً صعباً، ومن وجهة نظر الدول الأخرى، يجعل من الصعب اتخاذ إجراءات حازمة ردّاً على ذلك. ويرجع ذلك جزئياً إلى أن عتبة تطبيق قانون الحرب البحرية في حالات الصراع الهجين لا تزال غير معروفة. ومع ذلك، هذا لا يعني بالضرورة أن التعارضات المختلطة يجب أن تخضع لمجموعة جديدة من القواعد. عادة، قد تخضع الحوادث التي وقعت في مناطق رمادية في سياق نزاع مختلط للإطار القانوني للقانون الإنساني أو إنفاذ القانون في وقت السلم. على أساسه يمكن تقييم شرعيتها.

في المحصلة، تعدّ إجراءات التحكيم الجارية بين أوكرانيا وروسيا بشأن حادثة مضيق كيرتش في نوفمبر ٢٠١٨ واعدة حيث قرّرت المحكمة الدولية لقانون البحار<sup>(١)</sup> أن "التمييز بين الأنشطة العسكرية وأنشطة إنفاذ القانون يجب أن يستند في المقام الأول إلى تقييم موضوعي لطبيعة الأنشطة المعنية، مع مراعاة الظروف ذات الصلة في كل حالة"<sup>(٢)</sup>. من المرجح أن يتم تناول هذه المسألة بمزيد من التفصيل أثناء إجراءات التحكيم التي أقامتها أوكرانيا في ١ أبريل ٢٠١٩ بموجب الملحق السابع لاتفاقية قانون البحار. ٢٥ بشأن حادثة مضيق كيرتش<sup>(٣)</sup>.

أخيراً، الحرب الهجينة قديمة قدم القتال نفسها. لا يوجد شيء جديد جوهري حول دمج قوى غير تقليدية وغير تقليدية في ساحة المعركة بطرق مفاجئة لتقويض القوات التقليدية وإنكار المشاركة. لكن ما يتغيّر هو مستوى الجهد المبذول من الدول الكبيرة والصغيرة على حدّ سواء والميل إلى استخدامها لجميع المزايا التكتيكية والاستراتيجية التي تمنحها. لذلك، فإن "الحرب الهجينة" هي صراع عالي التقنية. إنها استمرار لسياسة الدولة و / أو الائتلافات، والجماعات السياسية، والشركات عبر الوطنية، والجهات الفاعلة من غير

(١) مقرّها في ألمانيا في هامبورغ، أسستها اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، الموقعة في مونتيجو باي، جامايكا في ١٠ كانون الأول ١٩٨٢. وقد دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ في ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٤، وأسست إطاراً دولياً للقانون يسري على "كل فضاء المحيطات واستخداماتها وثوراتها".

(٢) Tribunal international du droit de la mer, "Ordonnance: affaire relative à l'immobilisation de trois navires de la marine ukrainienne", (Ukraine c.Fédération de Russie), 25.05.2019, p 66.

(٣) Convention des Nations Unies sur le droit de la mer, Montego Bay 10.12.1982, e.i.f. 16.11.1994.

الدول. الغرض من الصراع هو فرض إرادة الممثل على خصومهم من خلال التأثيرات التدميرية المتزامنة والمتكاملة عليهم في مساحة متعدّدة الأبعاد وفي مختلف مجالات الحياة.

يتمّ الجمع خلال الحرب الهجينة بين المكونات التقليدية وغير التقليدية، والتركيز على مصادر وأنماط متعدّدة من الهجوم، وتأزر النتائج ومستوى عال من عدم اليقين بالنسبة للمعارضين لما قد تكون عليه الأهداف الاستراتيجية النهائية<sup>(1)</sup>. هذا هو السبب في أن العناصر الحاسمة للأنظمة في الدولة أي السياسي، الدبلوماسي، الاجتماعي، التقني، الاجتماعي الفني، النشاط، المالي، السيبراني، الاجتماعية السيبرانية والمعلومات والأنظمة الأخرى مهمّة في خضمّ هذا النوع من الحروب.

وأشار المؤرخون إلى أنّ الحرب الهجينة ليست ظاهرة جديدة تمامًا وهي ببساطة مصطلح جديد لمفهوم عمره قرون<sup>(2)</sup>. ففي خضمّ المفاوضات والصياغة والمناقشات أثناء عملية إبرام المعاهدات ذات الصلة بقانون البحار والنزاع المسلح، لم تجد الدول أنه من الضروري إنشاء إطار قانوني منفصل للحرب المختلطة. بدلاً من ذلك، عند صياغة المعاهدات ذات الصلة، بدأوا من المفاهيم التقليدية لقوانين السلام والحرب. على الرغم من أن التطورات السريعة في التكنولوجيا جعلت من الممكن الآن تبني وسائل أكثر تطوراً للحرب المختلطة، بما في ذلك الحرب الإلكترونية، إلا أنه ينبغي للدول أن تظل قادرة في المقام الأول على تصنيف أي حادثة حرب مختلطة تحت تداعيات النزاع المسلح أو عمليات إنفاذ القانون في وقت السلم.

يمكن للدول أن تنتظر الهيئات القضائية الدولية لتضع سوابق قضائية قوية بشأن الاختلافات بين العمليات العسكرية وعمليات إنفاذ القانون في سياق نزاع مختلط، بما في ذلك الإجراءات الجارية بشأن حادث مضيق كيرتش في تشرين الثاني ٢٠١٨.

في الوقت نفسه، يجب على الدول مراجعة قوانينها القانونية المحلية، حسب الاقتضاء، للتأكد من أن الأحكام الرئيسية المتعلقة بإعلان حالة الطوارئ أو الحرب والحفاظ على النظام في المجال البحري مرناً بما يكفي لمواجهة التّحديات الديناميكية للحرب الهجينة.

(1) Yuriy G. Danyk, Tamara Maliarchuk, Chad Briges, Hybrid War: High-tech, Information and Cyber Conflicts, Connections QJ 16, no 2, 2017, p 8.

(2) P. R. Mansoor, Introduction: Hybrid Warfare in History, dans W. Murray, P. R. Mansoor (éds.), "Guerre hybride: combattre des adversaires complexes du monde antique à nos jours", New York: Cambridge University Press 2012, p. 1.